معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

Submission date: 2 September 2019
Accepted date: 15 October 2019

قضية رحمة الله في التفسير الصوفي الإشاري

THE MERCY OF ALLAH IN *TAFSĪR ṢŪFĪ AL-ISHĀRĪ*

Mahyuddin Hashim
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
71800 Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia
E-mail: mahyuddin@usim.edu.my

الملخص

فسر بعض المفسرين الآيات القرآنية حول رحمة الله بالتفسير الصوفي الإشاري أو الفيضي، وهو التفسير الذي يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ دون توقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية. ويهدف هذه الدراسة إلى استقراء التفسيرات الصوفية الإشارية للآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله. ويعتمد هذا البحث على الدراسة النصية باستخدام طريقة تحليل المحتوى في النقد والتقييم. ونتيجة هذه الدراسة أن التفسيرات الصوفية الإشارية للآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله مطابقة للشروط.

الكلمات المفتاحية: رحمة الله، تفسير، صوفي، إشاري

ABSTRACT

Some exegetes explained the Qur'anic verses about the mercy of Allah through *ṣūfī al-ishārī* (mystical allegorical allusion) interpretation which is one of the exegetical approaches to describe the meaning of the Qurʾān. This interpretation is based on hidden symbolic imagery contrary to the conventional interpretation of the Qurʾān. The purpose of this article is to extrapolate the concept of *raḥmat Allāh* (the mercy of Allah) in Quranic verses with reference to *tafsīr ṣūfī al-ishārī*. This research is based on the textual study by using content analysis method in criticism and evaluation. The paper opines that adopting *tafsīr ṣūfī al-ishārī* in the concept of the mercy of Allah is in agreement with the conditions of conventional *tafsīr*.

Keyword: Mercy of Allah, *tafsīr*, *ṣūfī*, *al-ishārī*

1. المقدمة:

لا يستغني الإنسان عن رحمة الله طرفة عين، فإن وجوده وبقاءه، وسعادته وشقاءه، وأفراحه وأحزانه وغير ذلك مرهون برحمة الله وفضله، وإحسانه ولطفه، فالله لطيف رحيم بعباده، ويزيد اللطف بعبّاده، يمنح لهم الخير، ويحميهم من

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الشّر ما داموا على جادة الاستقامة قائمين، وبهدي الله عاملين، بل إنه يرحم العصاة والكافرين به، لأن رحمته سبقت غضبه، ولولا الرّحمة الإلهية ما بقي في هذا العالم كافر ولا مشرك.[1]

وقد فسر بعض المفسرين الآيات القرآنية حول رحمة الله بالتفسير الصوفي الإشاري أو الفيضي، وهو التفسير الذي يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ دون توقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية. ولكن اختلف العلماء في التفسير الصوفي الإشاري، وتباينت فيه أراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه. والواقع أن الموضوع دقيق يحتاج إلى بصيرة وروية ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى، فيكون ذلك من قبيل الزندقة والإلحاد، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى وضعت فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضي على مدار الأزمان، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان. وعلى ذلك، حدد العلماء شروطا لقبول التفسير الصوفي الإشاري. فإذا توفرت هذه الشروط، جاز الأخذ به.

تشير الدراسات والبحوث السابقة إلى أن المفسرين قد تناولوا النواحي المختلفة في كتبهم التفاسير سواء كانت من الناحية اللغوية، والناحية البلاغية، والناحية الأدبية، والناحية النحوية، والناحية الفقهية، والناحية المذهبية، والناحية الكونية الفلسفية وغيرها، حيث نظر فيها الحكماء والفقهاء والأدباء والصوفية وغيرهم. ومنهم من يفسر القرآن لأجل خدمة كتاب الله الكريم، ومنهم من يفسره لأجل نصرة مذاهبهم والدفاع عن عقائدهم.

وقد اهتم الباحثون بدراسة وبحث كتب التفسير اهتماما بالغا، إذ أن لهؤلاء الفضل السابق إلى دراسة مناهج المفسرين وألوان التفسير، ولكن من الملاحظ أن أحدا من الباحثين لم يعرض بدراسة شاملة أكاديمية —فيما أعلم– تتناول دراسة نقدية في التفسير الصوفي الإشاري للآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله.

وقد تناولت بعض الدراسات السابقة شيئا ذا بال عن بعض الجوانب لهذه الدراسة بصورة غير مباشرة. منها؛ منهج البروسوي في تفسيره روح البيان لصفية بنت شمس الدين. هذا البحث عبارة عن محاولة لبيان مدى التزام البروسوي بالمنهجية الصحيحة في التفسير الصوفي الإشاري وبيان الإضافة العلمية التي أضافها لهذا اللون من التفسير. وتذكر الباحثة أن البروسوي في تفسيره يتطرق في مناسبات كثيرة إلى التصوف، وينقل من كبار المتصوفين آراءهم عند شرح معظم الآيات القرآنية وهو يحترمهم، والدليل على ذلك نقله لآرائهم دون مناقشة ولا تعقيب إلا في حالات نادرة. وقد مزج البروسوي بين رأيه ورأي كبار الصوفية في بعض المناسبات. أما في معظـــم الأحيان، فإن رأيه متأخر عن رأي غيره من العلماء. وقد صرح البروسوي بأن للقرآن ظاهرا وباطنا. وقد اشترط في تفسيره لباطن القرآن أن يكون موافقا للكتاب والسنة. وقد يناقش ويرد على ما هو مخالف للقرآن والسنة.[2]

---

[1] الزحيلي، *التفسير الوسيط*، ص: 555/1

[2] صفية بنت شمس الدين، *منهج البروسوي في تفسيره روح البيان*، ص: 3

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ويبحث الدكتور حسن عزّوزي عن الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير. عنيت هذه الدراسة بالتعريف بالشيخ أحمد بن عجيبة وبتراثه وبمنهجه في التفسير الصوفي الإشاري. وقد أثبت البحث من خلال الحديث عن منهج ابن عجيبة في التفسير أن المؤلف قد تناول مجال التفسير بمنهج علمي دقيق ومتكامل يقوم على نظرية علمية قوامها المزاوجة والمراوحة بين التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة، وفي إطار التفسير بالظاهر عمل على الجمع بين المأثور والرأي، فخاض بذلك محيط التفسير والتأويل موظفا رأيه في محاولة فهم المأثور واستيعابه.[3]

وبجانب ذلك، قد كتبتُ حول تعريف التفسير الصوفي الإشاري ومقارنته بتفسير الإسماعيلية الباطنية والتفسير الصوفي النظري والتفسير العلمي الإشاري. ومن نتائج هذه الدراسة أن التفسير الإشاري عند الصوفية يختلف فيما يراه الباطنية، ذلك لأن الباطنية لم يعترفوا بظاهر القرآن واعترفوا بالباطن فقط، وتعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق نواياهم السيئة. وأما الصوفية فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه، كما اعترفوا بباطنه. وبينت الدراسة أن التفسير الصوفي النظري ينبني على مقدمات فلسفية تنقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم يُنزل القرآن عليها بعد ذلك. وأما التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات فلسفية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه. وكشفت الدراسة أن التفسير العلمي الإشاري هو الإشارات الجلية التي تتضمنها الآيات الكونية في القرآن الكريم والتي تشير إشارات واضحة إلى كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف. وأما التفسير الصوفي الإشاري فهو الإشارات الخفية التي يدركها أهل التقوى والصلاح والعلم عند تلاوة القرآن الكريم، فتكون مواجيد لها معان.[4]

وكذلك تكلمتُ عن التفسيرات الصوفية الإشارية للآيات القرآنية المتعلقة بقضية ثمرات التصوف للشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت1137هـ/1715م). ومن نتائج هذه الدراسة أن بعض التفسيرات الصوفية الإشارية المتعلقة بثمرات التصوف للبروسوي مطابق للشروط وبعضها مخالف لها. وتجدر الملاحظة إلى أن إجلالنا للبروسوي ووثوقنا به من الناحية العلمية والدينية، واعترافه في تفاسيره بالمعاني الظاهرية للقرآن وإنكاره على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره يجعلنا نحسن الظن به في تفسيره الإشاري المخالف للشروط.[5]

لا أنكر أن هناك الدراسات السابقة الأخرى في التفسير الصوفي الإشاري، ولكن هذه البحوث كلها خلو من الدراسة في قضية رحمة الله في هذا التفسير وهو ما يسعى البحث إلى دراسته. ولذلك، يهدف هذا البحث إلى واستقراء التفسيرات الصوفية الإشارية للآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله؛ ثم نقدها.

---

[3] عزّوزي، *الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير*، ص: 4

[4] Hashim, M. (2019). التفسير الصوفي الإشاري ومقارنته بتفسير الإسماعيلية الباطنية والتفسير الصوفي النظري والتفسير العلمي الإشاري. *Ulum Islamiyyah*, *27*(1), 53-65. https://doi.org/10.33102/ulum.2019.27.06

[5] Hashim, M. (2016). التفسير الصوفي الإشاري في ثمرات التصوف: دراسة نقدية في روح البيان للبروسوي. *Ulum Islamiyyah*, *18*(Dec), 235-252.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

1.1 رحمة الله:

الرحمة في اللغة الرقة والتعطف و (المرحمة) مثله وقد (رحمه) بالكسر (رحمة) و (مرحمة) أيضا و (ترحم) عليه. و (تراحم) القوم (رحم) بعضهم بعضا. و (الرحموت) من الرحمة يقال: رهبوت خير من رحموت. أي لأن ترهب خير من أن ترحم. و (الرحم) القرابة والرحم أيضا بوزن الجسم مثله.[6]

وأما في الاصطلاح فهي إرادة إيصال الخير وهي: اللطف والإحسان: أي التخلص من كل آفة أو نزعة تدفع الإنسان إلى الشر، مع إيصال الخير إلى الناس، فمساعدة الضعيف رحمة، ومد يد العون للمحتاج رحمة، وتخفيف آلام الناس رحمة، وعدم القسوة على من –وما– تحت يد المرء رحمة، ومعاملة الأرحام –وخاصة الوالدين– بالحسنى رحمة.[7]

وقد ذكرت كلمة "رحمة" فى القرآن الكريم 79 مرة توزعت في سوره، ابتداء من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:157] ، وحتى قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ [الحـديد:27].[8]

وتفسير الرحمة في القرآن الكريم على أحد عشر وجها. الوجه الأول: الرحمة يعني دين الإسلام وذلك قوله في هل أتى على الإنسان: {يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ} يعني في دين الإسلام. والوجه الثاني: الرحمة بمعنى الجنة، وذلك قوله في سورة آل عمران: {وَأَمَّا الذين ابيضت وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ الله} يعني ففي جنَّة الله {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. والوجه الثالث: الرحمة بمعنى المطر، وذلك قوله في سورة الأَعراف: يُرْسِلُ الرياح بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} يعني قدَّام المطر. والوجه الرابع: الرحمة بمعنى النبوة، وذلك قوله في سورة ص: {أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ} يعني مفاتيح النُّبُوَّةِ. الوجه الخامس: الرحمة بمعنى النعمة، وذلك قوله في سورة النِّساء: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} يعني ونعمته. والوجه السادس: الرحمة بمعنى القرآن، وذلك قوله في سورة يونس: {قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ} يعني القرآن. والوجه السابع: الرحمة بمعنى الرزق، وذلك قوله في سورة بني إسرائيل: {قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي} يعني مفاتيح الرزق. والوجه الثامن: الرحمة بمعنى النصر، وذلك قوله في الأَحزاب: {مَن ذَا الذي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ الله إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سواءا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} أَي النَّصر والفتح. والوجه التاسع: الرحمة بمعنى العافية، وذلك قوله في سورة الزُّمر: {أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ} يعني بعافية، والوجه العاشر: الرحمة بمعنى المودة، وذلك قوله في سورة الفتح: {رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} يعني متوادِّين. والوجه

[6] زين الدين محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، ص: 120

[7] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*، ص: 308

[8] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*، ص: 308

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الحادي عشر: الرحمة بمعنى الإيمان، وذلك قوله في سورة هود في قول نوح: ﴿إِن كُنتُ على بَيِّنَةٍ مِّن ربي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ يعني النبوّة، يعني نعمة، وهو الإيمان.[9]

1.2 التفسير الصوفي الإشاري:

التفسير الإشاري –كما سبق ذكره– هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة.[10]

ويظهر أن هذا اللون من التفسير يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ دون توقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية، وإنما يُنظر إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يدق على الفهم العادي، وأهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم –بفضل من الله– العلم الذي يكشفون به عن هذا الجوهر.[11]

شرعية التفسير الصوفي الإشاري:

لم يكن مفهوم التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ، ونبَّه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به.

ونبه الرسول ﷺ إلى ذلك في الحديث من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن»– بمعنى ظاهر وباطن– «وكل حرف حد وكل حد مطلع».[12]

ومن الروايات الدالة على أن الصحابة فسَّروا القرآن تفسيراً إشارياً ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝﴾ [النصر: 1] .. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝﴾ [النصر:1-1]

---

[9] يحي بن سلام، *التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه*، ص: 134- 138

[10] الزُّرْقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ص: 78/2، والذهبي، *التفسير والمفسرون*، ص: 352

[11] القشيري، *لطائف الإشارات*، ص: 22

[12] إسناده حسن. ابن حبان، محمد بن حبان، 1993م، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، كتاب العلم، باب ذكر العلة التي من أجلها قال النبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج:1/ ص:276/ رقم: 75 بلفظ : ((أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن)). والهيثمي، علي بن أبي بكر، 1407هـ، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، كتاب المغازي والسير، باب في أحرف القرآن، القاهرة: دار الريان للتراث، د.ط، ج: 1/ ص:440/ رقم: 1781، والتبريزي، محمد بن عبد الله، 1985م، *مشكاة المصابيح*، كتاب العلم، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ج1/ ص:80/ رقم: 238.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝﴾ [النصر:3] .. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مَا تقول».[13]

فبعض الصحابة يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

ومن هنا يتبين أن للقرآن ظاهرا وباطنا أصل شرعي يقوم عليه. وعلى الرغم من ذلك، شرعية التفسير الصوفي الإشاري تتوقف على الشروط التي حددها العلماء لقبولها.

شروط التفسير الصوفي الإشاري:

إن التفسير الصوفي الإشاري لا يكون مقبولا إلا بشروط التي حددها العلماء؛ وهي:

أولا: أن يصح على مقتضى الظاهر والمقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية، وألا يكون ذلك المعنى غامضا وسخيفا لا تدركه العقول.[14]

وللتفصيل، يمكن القول أن التفسير الصوفي الإشاري المطابق لهذا الشرط يقوم على أساسيين:

أ. التفسير الصوفي الإشاري داخل تحت عموم اللفظ المفسر.
ب. ملازمة التفسير الصوفي الإشاري للمأثور ملازمة العلة للمعلول.

وأما التفسير الصوفي الإشاري المخالف لهذا الشرط فيمكن القول أنه يقوم على ثلاثة أسس:

أ. التفسير الصوفي الإشاري غير معهود في كلام العرب.
ب. التفسير الصوفي الإشاري الشبيه باللفظ المفسر
ج. تعميم الخاص في غير محله.

ثانيا: أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض؛[15]

ثالثا: ألا يدعي أن ذلك التفسير الصوفي الإشاري هو المراد وحده من النص القرآن دون الظاهر.[16]

---

[13] البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب المغازي، باب قوله فسبح بحمد ربك واستغفره، ج: 6/ ص: 179/ رقم: 4970
[14] الشاطبي، *الموافقات*، ص : 324/3، والزُّرْقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ص: 81/2
[15] المرجع نفسه، ص : 326/3
[16] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ص: 4/ 226

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الصوفي الإشاري كان مقبولا، ومعنى كونه مقبولا عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به. أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشـــرعية. وأما عدم وجوب الأخذ به، فلأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه. فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه دون أن يُلزم به أحدا من الناس سواه.[17]

الإشارات ليست من قبيل التفسير :

والجدير بالذكر أن الشاطبي ‹ت790هـ› أشار إلى أنه لو أراد بالتفسير الإشاري تفسير الآيات القرآنية وبيان معانيها التي تحمل عليها لا غير، لكان هو بعينه مذهب الباطنية.[18] ولكن إجلالنا لهؤلاء المفسرين الإشاريين —كما قال الذهبي– ووثوقنا بهم من الناحية العلمية والدينية، واعترافهم في تفاسيرهم —التي نقلنا عنها– بالمعاني الظاهرية للقرآن وإنكارهم على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره .. كل هذا يجعلنا نحسن الظن بالقوم، فنحمل أمثال هذه المعاني على أنها ليست من قبيل التفسير، وإنما هي ذكر منهم لنظير ما ورد من القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير كما قال ابن الصلاح ‹ت643هـ› في فتواه.[19]

ويقول الشاطبي في قبول هذه المعاني: «والعذر عنه أنه لم يقع فيه ما يدل على أنه تفسير بل معنى إشاري للقرآن فزال الإشكال إذًا».[20]

ويقول الزركشي ‹ت 794هـ›: «فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقيل: ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة».[21]

ويقول السيوطي ‹ت 911هـ›: «وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير».[22]

وأما إطلاق كلمة ‹تفسير› على كلام الصوفية الإشارية في تأويل آيات القرآن الكريم فهي من قبيل العرف والمجاز أو على سبيل التجوز فقط؛ لأن علم التفسير الذي اصطلح عليه جل المفسرين إنما يراد به البحث عن مراد الله على عكس الإشارة. فالتفسير بالمصطلح العلمي التقليدى لا يمكن تطبيقه على إشارات السادة الصوفية؛ لأن

---

[17] الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ص: 2/ 410

[18] الشاطبي، *الموافقات*، ص : 341/3

[19] انظر ابن الصلاح، *فتاوى ابن الصلاح*، بيروت: مكتبة العلوم والحكم، ص: 29؛ والذهبي، *التفسير والمفسرون*، ص: 396/2

[20] الشاطبي، *الموافقات*، ص: 340/3

[21] الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ص: 170/2

[22] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ص: 223/4

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الإشارات غير مرتبطة بالخط المنهجي للتفسير، والصوفي نفسه لا يقول بأن ما وقع له من مواجيد ومعان هو تفسير للقرآن، ولكنه قبس من إشراق، وفيض من فتح، لا يتعلق به حكم ولا يرتبط به واجب، ومن ثمّ فقد أطلق الصوفية على هذه المعاني إشارة فقط تعبر عن تلويحات خفية قد ظهرت لهم.[23]

2. منهج البحث:

تستخدم هذه الدراسة النهج النوعي من خلال طريقة تحليل النص الاستقرائي. إنها طريقة بحث للتفسير الذاتي لمحتوى بيانات النص من خلال عملية تصنيف منهجية وتحديد المواضيع أو الأنماط.[24] والطريقة الاستقرائية تتطلب حصر كافة الجزئيات والوقائع، وفحصها، ودراسة ظواهرها، ثم إعطاء حكم عام بصددها.[25] وأما المادة الرئيسية التي سيتم استخدامها في هذه الدراسة باستخدام هذه الطريقة فهي البحر المديد لابن عجيبة وروح المعاني للألوسي وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري. ويستخدم هذا البحث أيضا المنهج التحليلي النقدي، وذلك من خلال المطابقة بين الشروط التي حددها العلماء لصحة التفسير الصوفي الإشاري والتفسيرات الإشارية.

3. النتائج والمناقشة:

في قضية رحمة الله، وقد ذكرت كلمة "رحمة" فى القرآن الكريم 79 مرة توزعت في سوره كما سبق ذكرها. ويضيق المقام عن ذكر جميع التفسيرات الإشارية لهذا اللفظ في هذا الصدد؛ فبحسبنا أن نضرب لذلك بعض أمثلة تشهد ذلك.

التفسير الإشاري في سورة آل عمران: 8

من الآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: 8]. في هذه الآية، يذكر الله تعالى دعاء الراسخين في العلم المؤمنين بالمتشابه يطلبون من الله الثبات على الهداية، والحفظ من الزيغ بعد الهداية، وهبة الرحمة والفضل من الله، والتوفيق إلى الخير والسداد.[26]

وقد أشار النيسابوري (ت 850هـ) في هذه الآية إلى دعاء الطالب يطلب من الله التجذب إلى لدنه والغنى به حيث يقول: ((رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبائعنا وطباعنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى حضرة جلالك

---

[23] انظر تقديم أحمد عبد الله القرشي رسلان للبحر المديد لابن عجيبة: 37/1

[24] Hsieh & Shannon, "Three approaches to qualitative content analysis," *Qualitative Health Research*, 15, no. 9 (2005): 1277-1288; Zhang, Y. & Wildermuth, B. M. *Qualitative analysis of Content*. In B. Wildermuth (Ed.), Applications of Social Research Methods to Question in Information and Library Science (Westport, CT: Libraries Unlimited, 2009), 308319

[25] عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، *كتابة البحث العلمي؛ صياغة جديدة*، ص: 55

[26] الزحيلي، *تفسير المنير*: 154/3-155

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل، وشاهدنا بلب أبصارنا لب التأويل، وتذكرنا بلب عقولنا علومنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تجذبنا من لدنا إلى لدنك وتغنينا عنا بك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. وفيه إشارة إلى أن وظيفة الطالب أن لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون إلى الأبد طلابا كما كان الله من الأزل إلى الأبد وهابا. وكما أنه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه، وأن بعد هذه الدار دارا هي دار القرار يوفى فيها جزاء الأبرار والفجار. فحصول الأرب بقدر رعاية الأدب في الطلب. ومقاساة التعب والنصب، وإن التقوى خير زاد للمعاد.))[27]

وأما ابن عجيبة (ت1224) فقد أشار في هذه الآية إلى دعاء الوصول إلى حضرة الله والعصمة من النظر إلى سواه حيث يقول: (((ربنا لا تزغ قلوبنا) عن حضرة قدسك (بعد إذ هديتنا) إلى الوصول إليها، (وهب لنا من لدنك رحمة) تعصمنا من النظر إلى سواك، (إنك أنت الوهاب))).[28]

ويقول الألوسي (ت 1270هـ) إشاريا في هذه الآية إلى محو صفات العبد بصفات الله وظلماته بأنواره: ((رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بالنظر إلى الأكوان والاحتجاب بها عن مكونها بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا بنورك إلى صراطك المستقيم ومشاهدتك في مراتب الوجود والمرايا المتعددة وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً خاصة تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ المعطي للقوابل حسب القابليات)).[29]

ويظهر مما سبق ذكره أن هذا التفسير الإشاري مخالف لما ذكره المفسرون من أن المراد في الآية التزلف إلى الله والفوز بها عنده، أو التوفيق للثبات على الحق أو مغفرة للذنوب،[30] لا بمعنى التجذب إلى الله والغنى به أو الوصـــول إلى حضرة الله والعصمة من النظر إلى سواه أو محو صفات العبد بصفات الله وظلماته بأنواره. وعلى الرغم من ذلك، هذا التفسير الإشاري صحيح مقبول؛ لأنه داخل تحت عموم اللفظ المفسر. فالتفسير الإشاري في هذه الآية داخل تحت عموم لفظ الرحمة وهي الرقة والتعطف.

ويفسر النيسابوري أيضا بالمعنى الظاهري اعترافًا به: ((ثم إنه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء: الأول قولهم رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا أي بعد وقت هدايتنا، والثاني قولهم وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً سألوا ربهم أوّلا أن لا يجعل قلوبهم مائلة إلى الأباطيل والعقائد الفاسدة، ثم أن ينور قلوبهم بأنوار المعرفة ويزين جوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة...)).[31]

---

[27] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*: 117/2

[28] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 326/1

[29] الألوسي، تفسير الألوسي: 90/2

[30] البيضاوي، *تفسير البيضاوي*، ص: 7/2.

[31] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*، ص: 110/2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وأما ابن عجيبة فيفسر الآية: ((ويقولون أيضاً في تضرعهم إلى الله: رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا عن نهج الحق بالميل إلى اتباع الهوى، بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى طريق الوصول إلى حضرتك، وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تجمع قلوبنا بك، وتضم أرواحنا إلى مشاهدة وحدانيتك، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ تهب للمؤمل فوق ما يؤمل)).[32]

ويفسر الألوسي بقوله: ((والمراد بالرحمة الإحسان والإنعام مطلقا، وقيل: الإنعام المخصوص وهو التوفيق للثبات على الحق، وفي سؤال ذلك بلفظ لأنه إشارة إلى أن ذلك منه تعالى تفضل محض من غير شائبة وجوب عليه عز شأنه وتأخير المفعول الصريح للتشويق)).[33]

التفسير الإشاري في سورة آل عمران: 107

ومن الآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران:107]. يخبر الله تعالى في هذه الآية أن الذين ابيضّت وجوههم باتّحاد الكلمة وعدم التّفرق في الدّين هم خالدون في رحمة الله، أي ماكثون في الجنّة أبدا، لا يبغون عنها حولا.[34]

وقد أشار النيسابوري (ت 850هـ) في هذه الآية إلى الجمعية والوفاق مع أهل الله. يقول فيه: ((فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ في الدنيا بالجمعية والوفاق مع أهل الله هُمْ فِيها خالِدُونَ في الآخرة، ولأنه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه)).[35]

وأما ابن عجيبة فقد أشار إلى جنة المعارف حيث يقول: ((وأما الذين ابيضت وجوههم وأشرقت بنور البقاء، ففي رحمة الله، أي: جنة المعارف فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ، فقد اتضحت الطريق، وظهرت أعلام التحقيق، لكن الهداية بيد الله، كما أنَّ الأمور كلها بيده، يهدي مَن يشاء ويضل من يشاء، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. وبالله التوفيق)).[36]

ويشير الألوسي إلى شهود الجمال بقوله: ((وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ الخاصة التي هي شهود الجمال هُمْ فِيها خالِدُونَ باقون بعد الفناء)).[37]

---

[32] ابن عجيبة، البحر المديد: 325/1
[33] المرجع نفسه: 88/2
[34] الزحيلي، *تفسير المنير*: 34/4
[35] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*: 236/2
[36] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 392/1
[37] الألوسي، *تفسير* الألوسي: 248/2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ويظهر مما سبق ذكره أن هذه التفسير مشكل؛ لأنه مخالف لما ذكره المفسرون من أن المراد بالرحمة في هذه الآية الجنة[38]، لا الجمعية والوفاق مع أهل الله أو جنة المعارف أو شهود الجمال. ولكن هذا التفسير وجه يجري عليه؛ لأنه لا يخرج عن عموم اللفظ المفسر من حيث أن المشار إليه من أنواع رحمة الله تعالى. فهذا التفسير الإشاري جاء بالمعنى فيه وأجراه في الآية وإن لم تنزل فيه.

بيد أن النيسابوري وابن عجيبة والألوسي يفسرون بالمعنى الظاهري اعترافًا به. يقول النيسابوري: ((أما قوله: فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة)).[39] ويقول ابن عجيبة: ((وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ أي: جَنته، هُمْ فِيها خالِدُونَ. وعبَّر بالرحمة عن الجنة تنبيهاً على أن المؤمن، وإنْ استغرق عمره في طاعة الله- تعالى-، لا يدخل الجنة إلا برحمة الله وفضله، وكان حق الترتيب أن يقدم حِلية المؤمنين لتقدُّم ذكرهم، لكن قصد أن يكون مطلعُ الكلام ومقطعُه حليةَ المؤمنين وثوابهم)).[40] وأما الألوسي فيفسر: ((وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ أي الجنة فهو من التعبير بالحال عن المحل والظرفية حقيقية، وقد يراد بها الثواب)).[41]

التفسير الإشاري في سورة النساء: 175

وأما قوله تعالى المتعلق برحمته: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾ [النساء:175] فيذكر الله أن الذين آمنوا بالله، وتمسكوا واعتصموا بالقرآن أو الإسلام، واتبعوا نوره، فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ورفعا بالقرآن.[42]

وقد أشار ابن عجيبة في هذه الآية إلى حضرة القدس بقوله: ((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ في حال سيرهم إليه فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وهي حضرة القدس، (وفضل) وهو الترقي في أسرار المعارف إلى مالا نهاية له، ويهديهم إلى الوصول إليه، وهو شهوده في ذلك النور، طريقا مستقيما توصل إليه في أقرب زمان)).[43]

وأما الألوسي فأشار إلى جنات الأفعال حيث قال: ((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ولم يلتفتوا إلى الأغيار من حيث إنها أغيار فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وهي جنات الأفعال وَفَضْلٍ وهو جنات الصفات وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ

---

[38] الثعلبي، *تفسير الثعلبي*: 126/3
[39] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*: 231/2
[40] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 392/1
[41] الألوسي، *تفسير الألوسي*: 242/2
[42] الزحيلي، *تفسير المنير*: 52/6
[43] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 599/1

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

صِراطاً مُسْتَقِيماً وهو الفناء في الذات، أو- الرحمة- جنات الصفات، والفضل- جنات الذات والهداية إليه صراطا مستقيما- الاستقامة على الوحدة في تفاصيل الكثرة، ولا حجر على أرباب الذوق)).[44]

ويظهر من ذلك أن هذا التفسير الإشاري مشكل؛ لأنه خلاف ما ذكره المفسرون من أن المراد بالرحمة في الآية الجنة،[45] لا حضرة القدس أو جنات الأفعال. ولكن هذا التفسير وجه مقبول؛ لأنه داخل تحت عموم اللفظ المفسر، ولا يخرج عن معنى لفظ رحمة الله والمشار إليه من أنواعه. فالتفسير الإشاري هنا جاء بالمعنى في اللفظ المفسر وأجراه في الآية وإن لم تنزل فيه.

بيد أن ابن عجيبة والألوسي يفسران بالمعنى الظاهري اعترافًا به حيث يقول ابن عجيبة: ((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ أي: وحدوه في ربوبيته، وَاعْتَصَمُوا أي: تمسكوا بدينه أو بكتابه، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وهي الجنة، وَفَضْلٍ: النظر لوجهه الكريم)).[46]

ويفسر الألوسي بقوله: ((فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ أي ثواب عظيم قدره بإزاء إيمانهم وعملهم رحمة منه سبحانه لا قضاء لحق واجب، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد بالرحمة الجنة، فعلى الأول التجوز في كلمة فِي لتشبيه عموم الثواب وشموله بعموم الظرف، وعلى الثاني التجوز في المجرور دون الجار)).[47]

التفسير الإشاري في سورة يونس: 21

ومن الآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ [يونس:21]. يخبر الله تعالى أنه إذا أذاق الله الناس رحمة، ورزقهم فضلا من بعد ضرّاء مستهم، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك، إذا هم يسرعون بالمفاجأة الغريبة وهي المكر في مقام الحمد والشكر.[48]

ويشير النيسابوري في هذه الآية إلى ذوق التوبة أو ذوق الكشف بقوله: ((وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ ذوق توبة وإنابة أو ذوق كشف وشهود مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ وهي الفسوق والأخلاق الذميمة وحجب الأوصاف إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا

[44] الألوسي: *تفسير الألوسي*: 220/3
[45] المراغي، *تفسير المراغي*: 37/6
[46] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 599/1
[47] الألوسي، *تفسير الألوسي*: 216/3
[48] الزحيلي، *تفسير المنير*: 143/11

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بإظهارها إلى غير أهلها بشرف النفس وطلب الجاه والقبول. قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً فيستدرجهم عن تلك المقامات إلى دركات البعد مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ)).[49]

ويشير ابن عجيبة إلى حلاوة المعرفة والعلم حيث يقول: ((وإذا أذقنا الناس حلاوة المعرفة والعلم، بعد ضرر الجهل والغفلة، إذا لهم مكر في آياتنا وهم الأولياء والمشايخ، الذين فتح الله بسببهم عليهم- بالطعن عليهم والانتقال عنهم، كما يفعله بعض المريدين، أو جُلُّ طلبة العلم، بنسيان مشايخهم ونسيان العهد إليهم، قل الله أسرع مكراً بهم، فيريهم أن الأمداد باقية، تجري عليهم استدراجاً، ثم يحبس ذلك عنهم فتيبس أشجار معانيهم، وتظلم قلوبهم)).[50]

وأما الألوسي فيشير إلى توفر النعم الظاهرة والمرادات الجسمانية فيقول: ((وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا وهو احتجابهم عن قبول صفات الحق وذلك لأنه بتوفر النعم الظاهرة والمرادات الجسمانية يقوي ميل النفس إلى الجهة السفلية فتحتجب عن قبول ذلك كما أنه بأنواع البلاء تنكسر سورة النفس ويتلطف القلب ويحصل الميل إلى الجهة العلوية والتهيؤ لقبول ذلك)).[51]

ويبدو أن هذا التفسير الإشاري للآية خلاف ما ذكره المفسرون من أن المراد بالرحمة في الآية صحة وسعة،[52] لا ذوق التوبة أو حلاوة المعرفة والعلم أو توفر النعم الظاهرة والمرادات الجسمانية. ولكن هذا التفسير الإشاري مقبول؛ لأنه داخل تحت عموم اللفظ المفسر، حتى لو فصل لكان المعنى: وإذا أذقنا الناس رحمة من صحة وسعة،[53] لا ذوق التوبة أو حلاوة المعرفة والعلم أو توفر النعم الظاهرة والمرادات الجسمانية... وهذا التفسير جاء بالمعنى في لفظ الرحمة، وأجراه في الآية وإن لم تُنَزَّل فيه.

ومن جهة أخرى، يفسر النيسابوري وابن عجيبة والألوسي الآية بالمعنى الظاهري. يقول النيسابوري: ((وَإِذا أَذَقْنَا روي أنه سبحانه سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الأمطار النافعة، ثم إنهم أضافوا تلك المنافع إلى الأصنام- وقيل نسبوها إلى الأنواء- فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة أو تخليط في المناظرة)).[54]

ويفسر ابن عجيبة: ((وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً، كصحة وعافية وخصب مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ، كمرض أو قحط إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا بالطعن فيها، والاحتيال في دفعها، فقد قحط أهل مكة حتى أكلوا الجلود والميتة، ثم رحمهم

---

[49] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*: 578/3

[50] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 462/2-463

[51] الألوسي، *تفسير الألوسي*: 115/6

[52] انظر البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ص: 109/3

[53] انظر المرجع نفسه، ص: 109/3

[54] النيسابوري، *تفسير النيسابوري*: 571/3

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بالغيث، فطعنوا في آياته بالتكذيب، وكادوا رسوله– عليه الصلاة والسلام– قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً منكم، فقد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم، ووصف مكر الله بالسرعة وإن كان الاستدراج يمهلهم لأنه متيقن واقع لا محالة، وكل آت قريب)).[55]

وأما الألوسي فيفسر: ((وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً كالصحة والسعة مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ أي خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم)).[56]

التفسير الإشاري في سورة الأنعام: 147

ومن الآيات القرآنية المتعلقة بالرحمة قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ١٤٧﴾ [الأنعام:147]. هذه الآية ترغيب لمخالفي رسول الله ﷺ في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتّباع رسوله.[57]

وقد أشار ابن عجيبة في هذه الآية إلى الرجاء بقوله: ((يُؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف لأن حسن الظن بالله مطلوب من العبد على كل حال، لأن الرجاء وحسن الظن يستوجبان محبة العبد وإيحاشه إلى سيده بخلاف الخوف، وهذا مذهب الصوفية: أن تغليب الرجاء هو الأفضل في كل وقت، ومذهب الفقهاء أن حال الصحة ينبغي تغليب الخوف لينزجر عن العصيان، وحال المرض يغلب الرجاء إذ لا ينفع حينئذٍ، فالصوفية يرون أن العبد معزول عن الفعل، فليس له قدرة على فعل ولا ترك. وإنما ينظر ما تفعل به القدرة، فهو كحال المستشرف على الموت. والفقهاء يرون أن العبد له كسب واختيار. والله تعالى أعلم)).[58]

ويبدو أن هذا التفسير الإشاري مشكل؛ لأنه خلاف ما ذكره المفسرون من أن المراد بالآية تأخير العذاب،[59] لا الرجاء. ولكن لهذا التفسير الإشاري وجه يجري عليه؛ لأن ملازمته للمأثور ملازمة العلة للمعلول، أي أن يكون الرجاء علة لحصول رحمة الله. فالتفسير الإشاري هنا علة قام عليه التفسير الصحيح.

---

[55] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 461/2

[56] الألوسي، *تفسير الألوسي*: 89/6

[57] الزحيلي، *تفسير المنير*: 84/8

[58] ابن عجيبة، *البحر المديد*: 183/2

[59] انظر القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ص: 171/2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وبجانب ذلك، يفسر البروسوي أيضًا بالمعنى الظاهري اعترافًا به بقوله: ((فَإِنْ كَذَّبُوكَ يا محمد، فَقُلْ لهم: رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ يُمهلكم على التكذيب، فلا تغتروا بإمهاله فإنه يُمهل ولا يُهمل. ولذلك أعقبه بقوله: وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ حين ينزل بهم، أو ذو رحمة واسعة على المطيعين، وذو بأس شديد على المجرمين، فأقام مقامه)).[60]

4. الخلاصة:

بعد رحلتنا مع قضية رحمة الله في التفسير الصوفي الإشاري، نصل إلى الخلاصة التي تعتبر الحصاد الذي يمكن أن نجنيه من هذا البحث. ويمكن القول أن التفسيرات الصوفية الإشارية للآيات القرآنية المتعلقة برحمة الله مطابقة للشروط. وتجدر الملاحظة إلى أنه لو أريد بالتفسير الإشاري تفسير الآيات القرآنية وبيان معانيها الخفية لا غير، لكان هو بعينه مذهب الشيعة الباطنية، ولكن إجلالنا لهؤلاء المفسرين الإشاريين ووثوقنا بهم من الناحية العلمية والدينية، واعترافهم في تفاسيرهم بالمعاني الظاهرية للقرآن وإنكارهم على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره يجعلنا نحسن الظن بهم.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Abdul Wahhab Ibrahim Abu Sulaiman. (1987). *Kitabatul Bahthil I'lmi; Siyaghah Jadidah.* Jeddah: Darul Syuruq.

[2] Al-Majlisul Al-Aa'la li as-Syuun al-Islamiyyah, (n.d.). *Mausua'h al-Islamiyyah al-A'mmah.* Misr.

[3] Alusi, Mahmud ibn Abdullah al-Husaini. (1994). *Ruhul al-Maa'ni fi Tafsir al-Quran al-A'zim wa as-Sabu' al-Mathani*. Beirut: Darul Fikr.

[4] Azzuzi, Hasan, (2001). *As-Syeikh Ahmad bin A'jibah wa manhajuhu fi at-Tafsir*. Maghribi: Wizarah al-Awqaf wa as-Syuun al-Islamiyyah.

[5] Baidhowi, Abdullah. (1418H) *Anwar at-Tanzil wa Asrar at-Takwil.* Beirut: Darul Fikir.

[6] Bukhari, Muhammad ibn Ismail. (1422H). *Al-Jamie' al-Musnad as-Sohih al-Mukhtasar min Umur Rasulillah s.a.w wa Sunanihi*. n.p: Dar Tauq an-Najah.

[7] Haithami, Ali ibn Abi Bakr. (1407). *Majma'u az-Zawaid wa Manba' al-Fawaid.* Kaherah: Darul Rayyan li at-Turath.

[8] Hashim, M. (2016). At-Tafsir As-Sufi al-Ishari fi Thamarat at-Tasawwuf: Dirah Naqdiyyah fi Ruhil Bayan lil Burusawi. *Ulum Islamiyyah, 18*(Dec), 235-252.

[60] ابن عجيبة: 183/2

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[9] Hashim, M. (2019). At-Tafsir As-Sufi al-Ishari wa Muqaranatuhu bi Tafsir al-Ismailiyyah al-Batiniyyah wa at-Tafsir As-Sufi an-Nazori wa at-Tafsir al-I'lmi al-Ishari. *Ulum Islamiyyah*, *27*(1), 53-65. https://doi.org/10.33102/ulum.2019.27.06

[10] Hsieh & Shannon (2005), "Three approaches to qualitative content analysis," *Qualitative Health Research*, 15, no. 9: 1277-1288;

[11] Ibn 'Ajibah, Ahmad ibn Muhammad. (2005). *Al-Bahr al-Madid fi al-Quran al-Majid.* Beirut: Darul Kutub al-Ilmiah.

[12] Ibn as-Solah, Uthman ibn Abdul Rahman. (1407H). *Fatawa Ibn as-Solah.* Beirut: Maktabah al-Ulum wa al-Hikam, A'lam al-Kutub.

[13] Ibn Hibban, Muhammad ibn Hibban, (1993). *Sahih Ibn Hibban bitartib ibn Balban.* Beirut: Muassasah ar-Risalah.

[14] Maraghi, Ahmad ibn Mustafa. (1946). *Tafsir al-Maraghi.* Misr: Syarikah Maktabah wa Matbaa'ah Mustafa al-Babi al-Halabi wa awladihi.

[15] Naisaburi, Al-Hasan ibn Muhammad. (1416). *Gharaibul Quran wa Raqhaibul Furqan.* Beirut: Darul Kutub al-I'lmiyyah.

[16] Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (1964). *Al-Jamie' liahkamil Quran.* Kaherah: Darul Kutub al-Misriyyah.

[17] Qusyairi, Abdul Karim bin Hawazin. (1981). *Lataif al-Isyarat.* Haiah al-Misriyyah al-A'mmah lil Kitab.

[18] Sofiyyah bintu Shamsuddin. (1995). *Manhaj al-Burusawi fi Tafsiri Ruhul Bayan.* Dirasah linaili Darajah al-Majister fi al-Jamia'h a-Urduniyyah wa Ujizat a'am 1995.

[19] Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr. (1996). *Al-Itqan fi U'lumul Quran.* Lubnan: Darul Fikr.

[20] Syatibi, Ibrahim ibn Musa. 2003. *Al-Muwafaqat fi Usul as-Syariah.* Egypt: al-Maktabah at-Taufiqiyyah.

[21] Tabrizi, Muhammad ibn Abdullah. (1985). *Mishkah al-Masobih.* Beirut: Al-Maktab al-Islami.

[22] Tha'labi, Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim. (2002). *Al-Kasyfu wal Bayan a'n Tafsiril Quran.* Beirut: Dar Ihya'utturath.

[23] Yahya ibn Salam ibn Abi Thaa'labah. (1979). *At-Tasorif li Tafsiril Quran mimma Isytahat Asma'uhu wa Tasorrafat Maa'nihi.* Hind Shalabi: As-Syarikah at-Tunisia li at-Tauzi'.

[24] Zahabi, Muhammad Hasan. (1976). *Al-Tafsir wal Mufassirun.* Cairo: Darul Kutub al-Hadisah.

[25] Zainuddin, Abu Abdullah Muhammad bin ibn Abi Bakr ibn Abdul Qadir al-Hanafi ar-Razi. (1999). *Mukhtarul as-Sohhah.* Beirut: Al-Maktabah al-A'sriyyah.

[26] Zarkashi, Muhammad bin Bahador. (1391). *Al-Burhan fi U'lum al-Quran.* Beirut: Darul Ma'rifah.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, Special Issue, (2019), pp. 65-81
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[27] Zhang, Y. & Wildermuth, B. M. (2009). *Qualitative analysis of Content*. In B. Wildermuth (Ed.), Applications of Social Research Methods to Question in Information and Library Science. Westport, CT: Libraries Unlimited.

[28] Zuhaili, Wahbah ibn Mustafa. (1422). *At-Tafsirul Wasit.* Dimasyq: Darul Fikr.

[29] Zuhaili, Wahbah ibn Mustafa. (1418H). *At-Tafsir al-Munir fi al-Aqidah wa as-Syariah wal Manhaj*. Dimasyq: Darul Fikir al-Mua'asir.

[30] Zurqani, Muhammad Abdul Azim. (n. d). *Manahilul I'rfan fi U'lumul Quran.* Kaherah: Dar Ihya'il Kutub al-A'rabiyyah.